دور المكتبات في زيادة الكفاءة المعلوماتيّة للأستاذ الجامعيّ

د. عمر تاج السِّر مُحَمَّد عبد الرَّحمن(*)

مُقَدِّمَة:

إنَّ الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، مَنْ يهده الله فلا مضل له، ومَنْ يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلاَّ الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ مُحَمَّداً عبده ورسوله، المُرْسَل هدىً ورحمةً للعالمين ﷺ، وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن اتّبعهم بإحسان إلى يوم الدِّين.

من الأمثال المأثورة التي لا يعلم النَّاس مصيرها بدقة أو التي لا يعرفون كيف وصلت إليهم وصارت تجرى على ألسنتهم القول المعروف: (**نصف المعرفة هو أنْ تعرف أين تجدها**). ومعناه أنَّ المعرفة تنقسم الى شقين الشِّق الآخر هو الذي يتعلَّق بالسُّؤال: أين؟

ومن الغريب أنَّ العلماء والباحثين والدَّارسين في العالم أجمع وفي كُلّ الأزمنة يركِّزون جهودهم على الجانب الأوَّل للمعرفة، ولا يهتمون بالقدر نفسه بالجانب الآخر (أين؟)، وحتَّى تكتمل المعرفة لا بُدَّ من تسليط الضُّوء على نصفها الآخر، وأقصد بذلك أين تجدها؟

والذي يدعو إلى التَّفاؤل في الاهتمام بالجانب الآخر (أين) هو الإقبال المتزايد على ارتياد المكتبات من قبل الباحثين والدَّارسين والطُّلاب، والذي

(*) أستاذ مساعد بقسم العلوم الإداريّة ـ كليّة الاقتصاد والعلوم الإداريّة بالجامعة.

يواكبه طلب متزايد على أمناء المكتبات الذين يستطيعون إرشاد مَنْ يريد استخدام هذه الفئة من الكتب والحصول على أكبر قدر من الفائدة.

إذا كانت المكتبة الجامعيّة قد جمعت في بداية نشاطها رصيدا ممتازاً من نفائس الكتب، فإنَّ وظيفتها يجب أنْ تتعدَّل من مكتبة تؤدي خدمات الإعارة الدَّاخليّة والخارجيّة إلى مكتبة تتولّى إعانة الأستاذ الجامعيّ في زيادة كفاءته المعرفيّة، وأنْ تعمل المكتبة الجامعيّة على تهيئة جيل مثقف يتسلَّح بالعلم، ويعتمده أساساً سليماً لإحداث التَّغيُّرات الجذريّة، واضعاً نصب عينيه المعرفة العلميّة والأسلوب العلميّ في التَّفكير والتَّحليل، وأنْ تكون المكتبات الجامعيّة حجراً مسانداً لخدمة التَّعليم والبحث العلميّ، وكذلك إتاحة فرص الثَّقافة المستمرة، كما يجب أنْ تكون مركزاً للحياة الفكريّة والاجتماعيّة، وتسعى إلى تأمين وإتاحة ما تستطيع من مصادر المعرفة في سبيل تنمية أفكار الأستاذ الجامعيّ، لتضمن له القدر المناسب من الأمن المعلوماتيّ، حتَّى يحصل على حظ من المعلومات عند الحاجة إليها في أيّ مكان وزمان، وكذلك يتحقَّق التَّعاون المكتبيّ الوثيق من خلال استخدام التَّقنيات الحديثة.

مشكلة البحث:

العالم كُلّه يشهد اليوم اهتماماً بالغاً بالمكتبيين، والبيبلوجرافيين، والموثقين، والقائمين بأعمال الاستخلاص والتَّكشيف في المجالات المختلفة، في الصِّناعة، ومراكز البحوث، والهيئات الحكوميّة. وأصبح السُّؤال: أين نجد المعلومات؟ يجد سنداً ودعماً من جهات الاختصاص على مستوى الكون كُلّه.

وإذا كانت المكتبة قد حازت على الرِّعاية والاهتمام، وذلك إدراكاً لأهمية المكتبات الجامعيّة في عمليتي: التَّعليم والبحث، ولذلك سعت كثير من الدُّول لوضع مجموعة من المعايير لأنشطة هذه المكتبات، من أجل النُّهوض بمستوى الخدمات التي تقدمها للدَّارسين والباحثين.

تساؤلات البحث:

[١] هل هنالك أهدافاً محدَّدة سلفاً تسعى المكتبة الجامعيّة إلى تحقيقها؟

[٢] وهل هنالك كفاية في الأفراد وكفاءة في الأعمال المنوطة بهم؟

[٣] وما هي أوجه القوّة والضَّعف في ممارسة المكتبات لأسس الإدارة العلميّة؟

[٤] وهل يسعى الأستاذ الجامعيّ للاستفادة من المكتبة الجامعيّة في زيادة كفاءته المعلوماتيّة؟

[٥] وهل هنالك تعاون ما بين الجهتين في تحديد الاحتياجات المعرفيّة؟

أهداف البحث:

[١] التَّعرُّف على رسالة المكتبات الجامعيّة وأهدافها.

[٢] بيان دور الكوادر البشريّة العاملة في مجال المكتبات.

[٣] تفعيل دور المكتبات الجامعيّة في مجال حفظ التُّراث الثَّقافيّ للأُمَّة.

[٤] إعداد تنظيم داخلي يساهم في زيادة كفاءة الأستاذ الجامعيّ.

[٥] الحثّ على اكتساب العلم وزياد المعرفة.

[٦] تشكيل وصياغة شخصيّة الأستاذ الجامعيّ.

هيكل البحث:

يتكوَّن هذا البحث من: مقدمة، ومبحثين، وخاتمة تتضمَّن أهم النَّتائج والتَّوصيات.

المبحث الأوَّل
علم المكتبات

المطلب الأوَّل: المكتبات النَّشأة والتَّكوين:

لا نستطيع أنْ نحدِّد أوّل مَنْ أنشأ مكتبة في العصور القديمة، كما لا نستطيع أنْ نقطع في أمر أقدم مكان أُنشئت فيه أولى المكتبات، إلاَّ أنَّ الحفريات والتَّنقيب في الآثار تدلُّ على أنَّه لعلَّ من أولى المكتبات ما قد ظهر قديماً في منطقة ما بين النَّهرين في العراق وفي وادي النِّيل، حيث وُجِدَ ما يدلُّ على ذلك، وتعود المكتبات الى ما قبل الميلاد.

وقد حفظ العرب قبل الإسلام بعض آثارهم الفكريّة ووقائعهم بنقشها على الحجارة خشية اندثارها، كما اشتهرت "المعلَّقات" التي تحمل خيرة قصائد فحول الشُّعراء[1].

أشهر المكتبات في الإسلام:

إنَّ المقام لا يتسع لذكر جميع المكتبات في البلاد الإسلاميّة عبر العصور، وسنكتفي بذكر أشهر المكتبات فيما مضى[2]:

(١) د. مُحَمَّد عجاج: لمحات في المكتبة والبحث المضاد، ط/١، (دمشق: موسى الرِّسالة، د. ت)، ص ٣٥.
(٢) المرجع السَّابق نفسه، ص ٤٠.

[١] دار الحكمة.

[٢] دار العلم.

[٣] مكتبة قرطبة.

[٤] مكتبة الحيدريّة.

[٥] مكتبة أبي سوار بالبصرة.

[٦] خزانة سابور.

[٧] خزانة كتب الوقف بمسجد الزّيديّ ببغداد.

[٨] مكتبة رامهرمز.

المطلب الثَّاني: المكتبات المعنى والمضمون:

علم المكتبات علم حديث اذا ما قيس بالعلوم الأخرى، وقد بدت بوادر ظهوره في القرن التَّاسع عشر في كُلّ من أوروبا والولايات المتحدة الأمريكيّة، فظهرت المؤسسات المكتبيّة في عدد من الأقطار، وخاصّة جمعيّات المكتبات، وكذلك التَّشريعات المكتبيّة والقواعد والأنظمة الخاصّة بتنظيم المكتبة وإدارتها، والتَّعليمات التي تساعد المكتبة على تقديم خدماتها الى الرُّواد والقُرَّاء[1].

وأدَّت متطلبات المكتبة الحديثة الى قيام فريق من الأفراد وعدد من المؤسسات المكتبيّة بوضع الأنظمة والقواعد التي تؤدي الى تنظيم المكتبة تنظيماً سليماً يقود الى تقديم الخدمات المكتبيّة بالسُّرعة الممكنة، وبالسُّهولة الميسرة، فكانت أنظمة التَّصنيف، وقواعد الفهرسة، والتَّشريعات المقننة لمستويات المكتبة وخدماتها.

(١) محمود الأخرس: مقالات في علوم المكتبات، ط/١، (عمّان: مكتبة المنار، ١٩٨٥م)، ص ٧٠.

وهنالك توسُّع أفقيّ ورأسيّ في العمليات المكتبيّة التَّقليديّة باتّجاه رصد وخزن وتسهيل الحصول على المعرفة المتخصصة وإتاحتها بكُلّ الوسائل للمتخصصين.

والمكتبة المتخصصة تخدم جمهوراً خاصّاً، وتلبي احتياجات هذا الجمهور من المعلومات الفنيّة، متبعة في ذلك بعض الوسائل والطُّرق غير التَّقليديّة، وتوثيق خدمات إيجابيّة تهتم بتوصيل المعلومات المتخصصة إلى مَنْ يريدونها، فضلاً عن توفير أسباب الإطّلاع والاستفادة من الموضوعات المختلفة[1].

هذه المعارف المكتبيّة تتطلَّب الدِّراسات والأبحاث المستمرة، وتتطلَّب القوى البشريّة المؤهلّة للقيام بهذه الدِّراسات، كما تستلزم الخدمة المكتبيّة توفير الأجهزة القادرة من الموظفين على تنظيم المكتبة وإدارتها وفق أنظمة حديثة.

وقادت هذه المتطلبات الى إنشاء المدارس والمعاهد المكتبيّة لتدريس علم المكتبات، مثل أيّ علم من المعارف البشريّة الأخرى، وهذا ما يتميَّز به القرن العشرون في مسيرة التَّطوُّر التي حالفت هذا العلم، فكانت هنالك الأبحاث والدِّراسات والمؤلَّفات، حتَّى أصبح لهذا العلم أدب قائم بذاته[2].

أمَّا "المعلوماتيّة" فهو مصطلح مرادف لكُلّ من مصطلحيْ: "دراسات المعلومات" و"علم المعلومات"، وتشير المعلومات (Informatics) في الأساس إلى استعمال التَّكنولوجيا لتحويل المعلومات من مدخل خاص أصلي إلى نقطة الاستغلال.

(١) د. محمود علم الدِّين: تكنولوجيا المعلومات والاتّصال، ط/١، (القاهرة: دار السّحاب، ٢٠٠٥م)، ص ٧٩.

(٢) محمود الأخرس: مقالات في علوم المكتبات، مرجع سبق ذكره، ص ٧.

من المهم بناء البنى التَّحتيّة للمجتمع المعلوماتيّ الـتي تسـتوعب الإنتـاج العلميّ والتَّكنولوجيّ، والإنتاج التَّعليميّ، والإنتاج التُّراثيّ والتَّاريخيّ، والإنتاج الإعلاميّ، والإنتاج الإبداعيّ والفنيّ، والنَّشر الورقيّ والإلكترونـيّ. وكُـلّ هـذا رهن الجامعة، فلا يوجد مجتمع معرفة إلاَّ بصناعة محتوى، ولا يوجد محتوى حقيقي إلاَّ بجامعة نشطة قادرة على إبداع محتوى يتماشى مع السِّـياق المحلـيّ، ويتجـاوب مع المتغير العالميّ.

ونحن نسعى إلى منهج منفتح مرن ينتقي من المعرفة الأشياء المهمة، ويبتعـد عن الأقلّ أهمية، أمَّا عن منهجيّات المعرفة فقد تعـدَّدت كـثيراً، وكـذلك نظـام التَّعليم يمرُّ بالعمليـات الإنتاجيّـة نفسـها، ولـيس المهـم جـودة المنـتج، ولكـن العمليات التي أُخرج بها هذا المنتج.

فالمعرفـة أصـبحت للتَّخصُّصـات، وصـارت متداخلـة وسـريعة التَّقـدم والإحـلال، وتغيَّـرت العلاقـة بـين العلـم والتَّكنولوجيـا، العلـم يكتشـف والتَّكنولوجيا أصبحت تعطي العلم. والعولمة تحتاج لكُلّ المجالات فهنالك:

- عولمة الاقتصاد.
- عولمة مستويات الخريجين.
- عولمة سوق العمل.
- عولمة البحث والتَّطوير.
- الملكيّة الفكريّة.
- اقتصاديّات الحجم.
- قابليّة المعلومات للاحتكار.

- تزييف العقول عن بعد.
- تحدي الاقتصاد المزدوج.
- مواقع التَّعلُّم والتَّعليم.
- نقل الحضور (صورة وصوت).
- جماعات الاهتمام المشترك.
- المشاركة بين الموارد.

ولهذا فبنموذج الجامعة تنشأ حضانات تذهب بها الى مجتمعات تكنولوجيّة، مثل: "القرية الذَّكيّة"، فتصبح الجامعة وسيطاً بين اقتصاد المعرفة وقطاعات الإنتاج والخدمات.

المطلب الثَّالث: التَّنمية المهنيّة للعاملين في المكتبات الجامعيّة:

عرَّف البعض "التَّنمية المهنيّة للعاملين (Professional staff development) في المكتبات" بأنَّها: "اكتساب وتعزيز المهارات". في حين عرَّفها البعض الآخر بأنَّها: "إدراك ذاتيّ"، وعرَّفها البعض الثَّالث بأنَّها: "محاولة منهجيّة للتَّوفيق بين اهتمامات الأفراد ورغباتهم وبين متطلبات التَّنظيم المتوقّع أنْ يعمل به هؤلاء الأفراد"[1].

لذلك لا بُدَّ من بيان الوضع الأكاديميّ للعاملين المؤهلّين بالمكتبات الجامعيّة؛ لأنَّها تُعَدُّ حجر الزَّاوية في النُّهوض بالتَّعليم والبحث العلميّ في الجامعات. لذلك لزم الاهتمام بأمناء المكتبات الجامعيّة، وتهيئة مستقبل ماديّ

(١) خالد الشَّافعيّ: إدارة المكتبات الجامعيّة، ط/١، (القاهرة: دار غريب، ٢٠٠٧م)، ص ١٧١.

ووضع أدبيّ متميّز لهم، حتَّى يتولَّد لديهم الرِّضا النَّفسيّ والإحساس بأهمية عملهم، فيحرصون على تجويده كما وكيفاً.

ولن يأتي ذلك إلاَّ بمساواة المؤهلين منهم بنظرائهم من أعضاء هيئة التَّدريس في الوضع الأكاديميّ والماليّ أو بعبارة أخرى: الاعتراف الرَّسميّ بالمكتبيين المهنيين كأعضاء في هيئة التَّدريس والبحث، وذلك بوضعهم على درجات أعضاء هيئة التَّدريس ومنحهم نفس الألقاب أو ما يقابلها ومساواتهم في الرَّواتب والامتيازات.

ومن هنا جاءت الدَّعوة بالنَّظر إلى العمل المكتبيّ كعمل مهنيّ محترم وممتاز، وإلى الاعتراف به كمهنة عمليّة مثل: التَّدريس، والطِّب، والهندسة، والمحاماة، وغيرها، ومنح أمناء المكتبات الجامعيّة بدل طبيعة عمل بحسبانهم من أصحاب التَّخصُّصات النَّادرة، ومعاملتهم معاملة أعضاء هيئة التَّدريس بالجامعة من جميع النَّواحي الأدبيّة والماديّة.

المطلب الرَّابع: المكتبات الجامعيّة والتَّكنولوجيا:

مع تزايد قوّة الانفجار المعرفيّ فإنَّ الخدمات المعرفيّة الجارية تصبح على قدر كبير من الأهمية لكُلٍّ من الباحث والأكاديميّ ولجميع المهتمين بملاحقة الأحداث والتَّطوُّرات، ومن حسن الطَّالع فإنَّ للإنترنت قدرة على دمج المعلومات المتغيّرة مع المصادر المعرفيّة المتوفرة، التي تساعد على خلق الخدمات المعرفيّة الجارية والحديثة وإعلام المستفيدين بالحديث والجديد، وذلك باستخدام الشَّبكة سواء من خلال برامج الحوار (Chat) أو برامج البريد الإلكترونيّ (E. mail).

إنَّ تقنيات المعلومات قديمة قدم الإنسان بتسجيل أفكاره وخبراته، وتشمل المعالجة: التَّسجيل، والاستنساخ، والبثّ، والتَّنظيم، والاختزان، والاسترجاع[1].

أمَّا بالنِّسبة للصُّور المعاصرة لتقنيات المعلومات فهي تتكوَّن من ثلاثة عناصر أساسيّة، هي:

- **الحاسبات الإلكترونيّة** بقدرتها الهائلة على الاختزان، وسرعتها الفائقة في التَّجهيز والاسترجاع.
- **وتقنيات الاتّصالات** بعيدة المدى.
- **والمصغرات** بكافّة أشكالها من فلميّة وضوئيّة، وبقدرتها الهائلة على توفير الحيز اللازم لاختزان الوثائق، فضلاً عن سهولة التَّداول، والاستنساخ، والاسترجاع.

ويمكن حصر مجالات واهتمامات الدَّارسين والباحثين في علم المعلومات والعلاقة التي تربطه مع المكتبات في الجوانب التَّالية:

[١] الدِّراسات المتعلّقة بمواد المكتبات والمعلومات، سواء كانت مواداً مطبوعة أو مسموعة أو مرئيّة أو مصغرات فيلميّة.

[٢] العمليات الفنيّة (التَّزويد، التَّنظيم، الاسترجاع)، كاختيار الكتب والمطبوعات والمعلومات المحدَّدة، كالفهرسة، والتَّصنيف، والتَّكشيف، والاستخلاص، والتَّحليل، والتَّقييم، والتَّفسير.

(١) د. طارق محمود و د. محمد عبد الحميد: المكتبات العامّة، ط/١، (الجيزة: شركة بيس كوم، ٢٠٠١م)، ص ١٣٩.

[٣] الخدمات الخاصّة بالمراجع واسترجاع المعلومات وتوصيلها تقليديّاً أو إلكترونيّاً.

[٤] المستخدمون لمختلف المكتبات ولمراكز التَّوثيق والمعلومات.

[٥] نظم المعلومات: المعلومات التي تتصل بتمثيل المعلومات في النُّظم الطَّبيعيّة والصِّناعيّة، واستخدام الرُّموز في نقل الرِّسالة أو التَّعبير عنها.

[٦] الحاسبات الالكترونيّة: تتضمَّن دراسة الحاسبات الإلكترونيّة والبرامج على خدمات المكتبات والمعلومات.

المبحث الثَّاني
المعلومات والأستاذ الجامعيّ

المطلب الأوَّل: مفاهيم ومصطلحات مرتبطة بالمعلومات:

لكي نفهم مصطلح "المعلومات" (Information) لا بُدَّ من أنْ نُفرِّق في البداية بينه وبين عدّة مفاهيم ومصطلحات أخرى تختلط به كـ "الحقائق" (Facts) و"البيانات أو المعطيات" (Data)، ثُمَّ "المعرفة" (Knowledge) و"العلم" (Science) التي يمكن ترتيب العلاقة المنطقية بينها على النَّحو التَّالي[1]:

(١) د. محمود علم الدِّين تكنولوجيا المعلومات والاتّصال، مرجع سبق ذكره، ص ١١.

- الحقائق.
- البيانات.
- المعلومات.
- المعرفة.
- العلم.

فالحقيقة هي: "شيء تبيَّن صدقه عن طريق الملاحظة بقدر ما تسمح به القدرة الإنسانيّة، وكُلّ مجموعة مختارة من الحقائق (Facts) تُشكِّل ما يُعْرَف عامّة بالبيانات أو المعطيات (Data) التي يمكن استخلاص نتائج منها".

والبيانات أو المعطيات هي: "كلمة بيان (Datum)، وتعني حقيقة معيّنة، وهي مشتقة من كلمة (بين) المشتقة من البيانات أيّ ما بين الشَّيء من الدّلالة وغيرها، وهي ما يُطلق عليها باللُّغة اللاتينيّة (Datum)، والتي استخدمت في اللُّغة الإنجليزيّة كما هي، بينما تُستخدم في اللُّغة الفرنسيّة كلمة (Don ee)، وتعبِّر عن: الأرقام، والكلمات، والرُّموز، والحقائق، والإحصاءات الخام التي لا علاقة بين بعضها البعض، ولم تُفسَّر أو تُسْتَخَدم بعد، أي ليس لها معنى حقيقيّ ولا تؤثِّر في ردّ فعل أو سلوك مَنْ يستعملها".

أمَّا **المعلومات** فهي: "البيانات التي تمت معالجتها لتحقيق هدف معيَّن أو لاستعمال محدَّد لأغراض اتّخاذ القرارات". أي أنَّ البيانات أصبح لها قيمة بعد تحليلها وتفسيرها أو تجميعها في شكل ذي معنى، والتي يمكن تداولها، وتسجيلها، ونشرها، وتوزيعها، في صورة رسميّة أو غير رسميّة، وفي أيّ شكل.

والمعلومات هي أساس المعرفة أيضاً، **فالمعرفة** التي هي أساساً: **"**مجموعة المعاني، والمعتقدات، والأحكام، والمفاهيم، والتَّصوُّرات الفكريّة، التي تتكوَّن لدى الإنسان نتيجة لمحاولة متكرّرة لفهم الظَّواهر والأشياء المحيطة به**"**. ويختلف بذلك رصيد المعرفة لدى الشَّخص الواحد من وقت لآخر بحصوله على تقارير جديدة من المعرفة والخبرة.

أمَّا **العلم** فهو: **"**الجسد المترابط من الحقائق المصنَّفة المتسقة التي يصل إليها الباحث عادة باتّباع منهج علميّ معترف به، كالمنهج التَّجريبيّ أو التَّاريخيّ أو المسحيّ أو الإحصائيّ**"**.

المطلب الثَّاني: الكفاءة المعلوماتيّة (Information Competence)**:**

تُعرَّف بأنَّها: **"**القدرة على إيجاد المعلومات، وتقييمها، وتوصيلها في كُلّ أشكالها المتنوعة**"**.

والقدرة (Ability) تشير إلى كّلّ ما يستطيع الفرد أداءه في الوقت الحالي أو المرحلة العُمُريّة التي يعيشها الفرد فيما يتعلَّق بمجالات الأنشطة العقليّة أو الحركيّة، سواء كان ذلك مرتبطاً بتدريب أو غير مرتبط**"**.

وهي تفترق عن الاستعداد (Aptitude) الذي هو: **"**قدرة الفرد الكامنة على أنْ يتعلَّم في سرعة وسهولة، وعلى أنْ يصل إلى مستوى عالٍ من المهارة في مجال معيَّن، وذلك في حالة توافر برامج التَّدريب والتَّعليم اللازمة، بحيث يستطيع أنْ يصل إلى أعلى مستوى من الكفاية بمجهود أقلّ وفي وقت أقصر من الشَّخص الذي يملك استعداداً منخفضاً في المجال نفسه**"**[1].

(١) د. محمود علم الدِّين: تكنولوجيا المعلومات والاتّصال، المرجع السَّابق نفسه، ص ٥٤.

كما أنَّ تطـوُّر الدُّول المتقدّمة في مـسار تطورها التَّاريخيّ تثبت أنَّ التَّطـوُّر النَّوعيّ لمواردها البشريّة ومن خلال تطوُّرها تعليميّاً وثقافيّاً واجتماعيّاً كأسـاس لتطوُّر نشاطاتها الاقتصاديّة منهـا والإنتاجيـة، أسـاسـاً وتطويرهـا في أسـاليب الإنتاج التي تستخدمها للقيام بهذه النَّشاطات وفي تنميتها وتطـويرها، حيث إنَّ تطوُّر التَّعليم فيها وما ارتبط به وبتطوُّره من تطوُّر ثقافيّ واجتمـاعيّ بـدءاً مـن القرن التَّاسع والعاشـر المـيلاديين واسـتمرَّ بعـد ذلـك هـو الـذي أسـهم في تحـقـيق التَّطوُّر في الدُّول المتقدمة وكان أساسـاً لهـذا التَّطـوُّر في كافّـة المجـالات ومنها المجال الاقتصاديّ[1].

إنَّ التَّطـوُّر المسـتمر والمتسـارع في مضـامين التَّطـوُّر ومعطياتـه في الـدُّول المتقدمة يستند على التَّطوُّر في نوعيّة الموارد البشريّة من خـلال تطـوُّر التَّعلـيم والبحث العلميّ والتَّطوير التَّكنولوجيّ، وبما يقود تحقيـق هـذا التَّطـوُّر وتلبيـة احتياجاتهم في النَّشاطات عموماً، وعن طريـق التَّوصُّـل إلى وسـائل وأسـاليب أكثر حداثة وتطوُّراً وبشكل متزايد ومتسارع ومسـتمر، وبمـا يضـمن اسـتمرار حالة التَّطوُّر والتَّقدُّم في هذه الدُّول، وبالذَّات من خلال تطوُّر التَّقنيات المتقدمة في المجالات المختلفـة والـتي يتضـمَّنها اقتصـاد المعرفـة والارتبـاط مـع تقنيـات المعلومات والاتّصالات والحاسوب والإنترنت وغيرها.

المطلب الثَّالث: استخدام الإنترنت:

إنَّ "الإنترنت" هو: "مجمـع عـالميّ لشـبكات كمبيوتريّـة مترابطـة، وهـو أحدث ما توصَّلت إليه تكنولوجيا المعلومات من تطوُّر وتقدُّم، ولقـد سـاهمت

(١) د. فليح حسن خلف: اقتصاد المعرفة، ط/١، (عمّان: عالم الكتب، ٢٠٠٧م)، ص ٨١.

تكنولوجيا المعلومات ولا سيما شبكة الإنترنت في إلغاء حواجز الوقت والمسافة بين البلاد المختلفة، من حيث الموقع الجغرافيّ، فهي الطِّفل العملاق لتكنولوجيا المعلومات.

ويُعَدُّ الإنترنت واحداً من أهم وسائل الاتّصال الحديثة التي أثَّرت في حياة النَّاس، وستستمر في تأثيرها اليوم؛ بل وغداً وبعد غد، والتي تحقَّق من خلالها مفهوم: "القرية الكونيّة".

وفي ضوء المعطيات السَّابقة نستنج أنَّ أهمية شبكة الإنترنت تأتي من كونها:

[١] ليست شبكة محليّة؛ بل شبكة عالميّة.

[٢] لا توجد رقابة للدَّولة عليها، ولا تعود ملكيتها لأحد.

[٣] تتيح للباحثين فرصة الحصول على المعلومات بغض النَّظر عن نوعيتها.

[٤] أتاحت أمام القُرَّاء التَّنقُّل والسَّفر بين المكتبات العالميّة.

[٥] سمحت للقُرَّاء والباحثين بملاحقة آخر المعلومات.

[٦] تتيح أمام القاريء أو الباحث فرصة الالتقاء بأناس من مختلف المهن.

المطلب الرَّابع: الإسلام والعلم:

قال تعالى: ﴿**اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ خَلَقَ الإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ عَلَّمَ الإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ**﴾ [العلق: ١–٥].

من خلال الآيات التي تحثُّ على التَّعلُّم، وتشجِّع طلاب العلم، وترفع من شأن العلماء، وتحارب الجهل وتطارده كما يطارد النُّورُ الظَّلامّ، ومن ثـمَّ خاطب

الإسلام العقول قال تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [الزُّخرف: ٣]، وقال تعالى: ﴿وَتِلْكَ الأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلاَّ الْعَالِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٣]، وقال تعالى: ﴿كَذَلِكَ يُبيِّنُ اللّهُ لَكُمُ الآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾ [البقرة: ٢٦٦]، وقال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النَّحل: ٤٤].

وإنَّا لنجد دعوة القرآن الكريم إلى العلم والرَّفع من شأنه مبثوثة في كثير من آياته، قال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ﴾ [الزُّمر: ٦]، وقال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلاَّ رِجَالاً نُّوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُواْ أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ﴾ [الأنبياء: ٧].

ورفع الله تعالى مكانة العلماء في قوله عزَّ وجلَّ: ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ [المجادلة: ١١]، وقال تعالى: ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ [يوسف: ٧٦].

ونرى ما للعلم من منزلة عظيمة في قصة سيّدنا سليمان عليه السلام وفي طلبه عرش بلقيس، كما في قوله تعالى: ﴿قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ قَالَ الَّذِي عِندَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُ قَالَ هَذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ﴾ [النَّمل: ٣٩–٤٠].

وقال عزَّ وجلَّ: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [فصلت: ٥٣]، وقال تعالى:

﴿أَوَلَمْ يَنظُرُواْ فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللّهُ مِن شَيْءٍ﴾ [الأعراف: ١٨٥].

كما حضّ الرَّسول ﷺ على طلب العلم، وبيَّن منزلة العلماء، فقال: (من يرد الله به خيراً يفقهه في الدِّين)(١)، وجعل طلب العلم الشَّرعيّ الذي يحتاج إليه كُلّ مسلم ليقيم أمور دينه فريضة على كُلّ مسلم، بنص قوله ﷺ: (طلب العلم فريضة على كُلّ مسلم)(٢).

ومنزلة العلماء المعلمين من أرفع المنازل في الإسلام، بنص قول الرَّسول ﷺ: (العلماء ورثة الأنبياء)(٣).

الخاتمة

أوّلاً: النَّتائج:

[١] هنالك اهتمام متزايد بالكتب والمكتبات والدَّوريات المتخصصة ساهم في زيادة الكفاءة المعلوماتية للأستاذ الجامعيّ.

[٢] هجرة العقول والكفاءات إلى الخارج، والنَّقص المتزايد في وجود هذه العقول والقوى العاملة في المجال الأكاديميّ أسفر عن ثغرة علميّة كبيرة، فمثل هذه الهجرة تُمثِّل عمل استنزاف لإمكانات البلاد مِمَّا تستدعي سدّ النَّقص.

(١) مسند الإمام أحمد، ص ١٨٠.

(٢) سنن ابن ماجة، ص ٥.

(٣) مجمع الزَّوائد، ص ١٢١.

[٣] استيراد التَّكنولوجيا يؤدي إلى خلق وعي معرفيّ، وتُسهِّل من عملية الاستفادة من هذه التَّقنيات، تعوقها التَّكلفة عالية الثَّمن من جهة، ومن جهة أخرى عدم ملائمة هذه التَّكنولوجيا لظروف كثير من الدُّول النَّامية.

[٤] حاجة المناهج التي تُدرَّس حالياً إلى إعادة نظر فيها إن لم يكن من المقدر العمل على إعادة صياغتها جذريّاً، حيث إنَّ هنالك نسبة كبيرة من المتخرجين في هذه الجامعات غير قادرين على الابتكار.

[٥] حصر مهمة الأستاذ الجامعيّ في تلقين المعلومات للطَّالب، وعدم السَّعي لتوسيع مدارك الطُّلاب بإثارة العديد من التَّساؤلات وإكثار المشاكل والاستفسارات التي تحتاج إلى حلول.

[٦] رغم أنَّ الكتاب الجامعيّ المقرَّر لا يعدو أنْ يكون إحدى الوسائل التَّعليميّة، ورغم أنَّ الكتاب الجامعيّ وحده لا يفي الموضوع حقّه مهما كانت كثافة المادة التي يحويها؛ إلا أنَّنا نجد أنَّ الكتاب المقرَّر غابت عنه قدرات الأستاذ الكتابيّة، والسَّعي للبحث العلميّ، مِمَّا يحدُّ من قدرة الأستاذ على السَّعي للبحث والكتابة، والاكتفاء بجهود الآخرين في هذا المجال.

[٧] عدم مواكبة المستجدات في الإصدارات، وغياب المكتبات المتخصصة.

[٨] عدم الاهتمام بالتَّدريب والمشاركة الإبداعيّة البشريّة والتَّرقية المهنيّة اللازمة لرفع كفاءات العاملين لزيادة القدرات تمشيّاً مع متطلبات خطط التَّنمية.

ثانياً: التَّوصيات:

[١] محاولة العمل ـ قدر الإمكان ـ على تحقيق الرَّبط المباشر ما بين التَّطوُّر التّكنولوجيّ وبين السِّياسات التَّعليميّة والتَّربويّة، من أجل إيجاد البيئة التّكنولوجيّة المناسبة، وإعادة برمجة سياسة التَّعليم بمراحلها المختلفة، والعمل على إيجاد برامج تعليميّة تدريبيّة تكنولوجيّة تأخذ بعين الاعتبار الحاجات الملحة، وبالتَّحديد إيجاد برامج موجَّهة لخدمة الاقتصاد الوطني.

[٢] يتمثَّل في أنَّ مفهوم النِّظام التَّعليميّ المتكامل بمفهومه التَّقليديّ يجب أنْ يُسْتَبدَل ليحل محله النِّظام الكادريّ المتكامل، الذي يقوم على مفهوم تكامل الأنشطة المكتبيّة، والذي يعني تطويع وتشكيل المراحل التَّعليميّة في واردها وأساليبها ومستوياتها لخدمة المخططات التَّعليميّة والاقتصاديّة والاجتماعيّة، وبالتَّالي إعداد الكوادر وتخريجها حسب المتطلبات المتغيرة لحضارة العلم والتَّكنولوجيا التي تحاول كُلّ دول العالم الانخراط فيها.

[٣] الرُّجوع إلى الماضي والوقوف على الأسباب التي جعلت العرب في فترة من الفترات لهم مكانة علميّة كبيرة، والعمل في الآن ذاته على التَّحديث ومجاراة التَّطوُّر، ومن المعروف أنَّ جوهر التَّحديث هو تحقيق الذَّات بالمعنى الحضاريّ: القيام بالتَّحوُّلات الاجتماعيّة والحضاريّة اللازمة التي تقوم على أداء الفروض العلميّة والتّكنولوجيّة.

[٤] عدم اهتمام البيت بالمكتبة يضاعف من مسؤوليّة الجامعة في خلق وعي مكتبيّ لدى الطَّالب قبل الأستاذ.

[٥] التَّسلُّح لمواجهة المستقبل بأسلحة لا مناص منها، وفي مقدمتها: العلم والمعرفة، والتَّزوُّد لهذا الفكر من روافده الأصليّة المدروسة، حتَّى يكون الأستاذ لبنة ضروريّة وصالحة في بناء المجتمع.

[٦] مواكبة التَّقدُّم الذي يطرأ في مجال التَّخصُّص في عصر تفجّرت فيه فروع المعرفة، وبناء القدرات الذَّاتيّة للخلق والإبداع، والمساهمة في ركب الحضارة والتَّقدُّم.

[٧] وضع مخطط لدراسة مقارنة عن قوانين المكتبات في بلدان الغرب والشَّرق، لتسهيل الإجراءات، والتَّصنيف، وبيان عادات المطالعة عند الاستعارة، ووضع البيبلوغرافيّة المطلوبة للموضوعات الموجودة لدى المكتبة.

[٨] السَّعي لتدريب العاملين وترقية الأداء في مختلف فروع الفن المكتبيّ وجوانبه.